(c) http://nidaulhind.blogspot.com

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهنـــد للروابط الثقـافية

المجلد الخامس | يونيو سنة ١٩٥٤ | العدد الثانى

محتويات هـذا العـدد

صفحة

٤ ملـمة الهند القديمة — مولانا محمد عبد السلام الرامپورى — ٥٩

الموضوع

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

فلسفة الهند القديمة

لمولانا محمد عبدالسلام الرامپورى

— ٤ —

﴿الجينية﴾

الجينية، هى ثالثة الثورات الفكرية الكبيرة فى وجه البرهمية الرسمية. وهى حركة عقلية حرة من سلطان الويدات كصنويها من الكارواكية والبوذية، ومعاصرة للفكر الأبنيشدى، ومطبوعة بطابع الذهن الهندوسى العام. قد أسس بنيانها على الخوف من تكرار الموالد والهرب عن الحياة إتقاء من شائماتها، ونشئت عن التزهد فى حسناتها فزعا من سيئاتها. عمادها الرياضات المتعبه والمراقبات الشاقه، ومعولها الجمود للملذات والمؤلمات، وسبيلها التقشف والتشدد فى العيش، وطريقها الرهبانية.

ما زال الغربيون من الباحثين زاعمين أن الجينية من مذاهب البوذية. واشتبه الأمر عليهم لمعاصرة مؤسسها بوذا، وتشابه حياتهما، وتجاور موطنهما، وتقارب جنسيتهما وتوافق أفكارهما فى نقاط عديدة أساسية، حتى انتهى الأمر إلى اليعقوبى وغيره منهم، فتفحصوا الموارد وتنقبوا عن المصادر، فاستكشفوا شهادات داخلية وخارجية دالة على استقلال إحداهما عن الأخرى، وانفراد كلتيهما بجوهرهما. فأثبتوا إثنينية مؤسسهما، وميزات شريعتهما الجوهرية، وطفق الرأى يتعاضد رويدا، حتى قبله الباحثون وأجمع عليه العالمون، ونالت الجينية محلها الذى قد زال عنها وأخذت مكانتها التى قد سلبت عنها.

الحياة الدنيا تعس، والعيش فيها ويل. والتغير، والزوال، والتطور، والانقطاع

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

والمشاهـــدة آناً فآناً وحيناً فحيناً، هى الأساس للحسرات والأصل للأسفات. والقدر قد أجمع عليه متفكرو الهند وجعلوه مبدءاً لأفكارهم المبتكرة وأصلا لمذاهبهم الدينية، إلا شرذمة قليلة من الصارواكيين قد خالفوا كيان ترتيبهم فأكلتهم. فهل تحت هذه المشاهد من التغير والزوال أمر مستقل باق أساسا لها يمدمجان فيه ويبقى ويمحوان فيه ويثبت؟ قد كشف عن هذا الأساس الأبنيشديون فأعرضوا عن المتغيرات والزائلات. وآووا إلى الثابت وقالوا: إن العلم هو الايقان بوحدة الكثرة المشهودة. والنجاة هو الاندماج فى الوحدة البحتة. والبوذيون ما تعدوا حدود المشاهد من التغير والانقطاع، فألقوا رحلهم فيها، وجعلوا الحياة عين التغير والتقضى، فسدوا عليهم أبواب النجاة، إلا باب الفناء الكلى فاختاروه وارتضوا به أما الجينية فجمعت بين الرأيين وأحاطت بالفكرتين وأثبتت المشهود والمستور ووفقت العيان بالقياس، فآتت كل واحد منهما حقه من الواقعية. التغير والدوام على مستوى واحد من الحقيقة، ولكل متغير حظ من البقاء فكما أن الفناء الصرف اغترار كذلك الديمومة المحضة التباس، والنجاة هى الاغماض عن التغير، والرجوع إلى الثبات، والوقوف عن الأعمال، والجمود للحزن والسرور.

﴿ الطريق الجينى ﴾

الطريق الجينى طريق رهبانى من الطرق الرهبانية المعروفة الرائجة فى المتدينة من غير جنسية البراهمة. والطريق منسوب إلى جينا Jina أو فاتح، كأنه طريق قد نشر به الدين قد فتحوا عواطفهم الدنية وأميالهم السافلة، وانتهوا إلى أقصى درجات الكمال. فنجوا من تعاقب الموالد وتتابع الممات والحياة، وفازوا بالتخلص وأحدوا حظهم من العلم والسرور السرمديين.

ويدعى الجينيون أن طريقهم هو الطريق المتوارث عن الكاملين من أمد لا يحده حاد ولا يعده عاد. ما من دورة للكون إلا خلت فيها دعاة هذا الطر

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

ومبشروه. والدورات غير متناهية عددا ومدة فى ماضيها ومستقبلها. أما الدورة الحديثة من الكون فتبتدأ سلسلة التبشير فيها من رشبا ديوا Rashba Deva وتنتهى بمهاويرا ورذمنا Mohavira Vardhamana، وبينهما اثنان وعشرون مبشرا قد شغلوا فترة ألوف ألوف سنة. يقول اليعقوبى «بارشواناث Parsvanath آخر حد ينتهى إليه رجال هذا الطريق، أما مَن فوقه من الاثنين والعشرين فقد ضاعوا فى الروايات والأساطير لا تثبت حقيقة ولا تجلوا عن ريب». ويتصل التاريخ الفعلى لهذا الطريق إلى بارشواناث، وكاد أن يكون هو الذى قد أسس الطريق، وابتدع أصوله، ورسم خططه، ونشر به أتباعه، ولقن مريديه، ماديه ومناحيه ورباهم ورشحهم.

﴿ بارشواناث ﴾

ولد بارشواناث Parsvanath بنارس Banaras فى القرن التاسع قبل الميلاد وتوفى فى القرن الثامن. وقد أنشأ نظاما رهبانيا شدد فيه بأمر الرياضات الشاقة المتعبة. وأسس الطريق على أربعة عهود هامة من أهنسا Ahmsa أى عدم العنف، وسنرتا Sumta أى الصدق فى القول، وأستيا Astya أى عدم السرقة، وأبارگرها Aparigha أى العزوف عن جميع متع الدنيا.

ولعل بارشواناث هو الذى قد قسم النظام على قسمين: العامة والخاصة. الخاصة هم الرهبان والمتبتلون الذين قد عاهدوا بهذه العهود وتركوا الأهل والمسكن، وأخذوا يجوبون الأقطار ويطوفون فى القرى والأمصار، وانتزعوا عن الملذات والترف ورهنوا أنفسهم بالرياضات والمراقبات والتشير. وهذا القسم هو عمود النظام. والعامة هم الذين يعاضدون الطريق بأموالهم وآثارهم ويساعدون رهبان الطريق بكفاآتهم وأرزاقهم. أما سعادتهم، فالاجتناب عن الفواحش والعمل بالمعروف مشتغلين فى معايشهم ومكاسبهم من غير عنف وإضرار، مكرمين دعاتهم، مصدقين

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

عليهم، واعين وصاياهم، مقتدين بهديهم ما تيسر لهم. فنمى النظام وترعرع وكثرت الأتباع فى القسمين من العامة والخاصة. وصار الطريق مقبولا مطبوعا لا سيما فى طبقة الكشترية.

ومضت أحيال، وخلت أحقاب، والنظام فى سبيل الرقى والبث، حتى برز فى أتباعه مبشر كبير قد أصلح النظام، وأكمله، وعدله بالظروف. فشدد فى الرياضات وغالى فى الترك وأضاف فى العهود الرسمية.

فاستحرج من العهد الرابع أى العزوف عن متع الدنيا عهدا خامسا، وهو عهد العفة أو برهماچاريا Brahmacharya. وأخذ يدعو الناس إلى ما بشر به بارشوانات. مع ما زاده فيه هو نفسه، وأخذ منهم خمسة مواثيق رسمية بالطريق المعروف بين البارشويين، فعقد احتفالا لأخذ العهود. فمن عاهد بتلك المواثيق فقد دخل فى النظام الخاص، نظام المتبتلين. فاندمج النظام المتقدم البارشوى فى النظام الحديث وهدأت الدعوة البارشوية، وعلا صوت المبشر الجديد وطار صيته حتى صار كأنه هو الداعى للطريق والمؤسس للنظام. واشتهرت الطريقة باسمه وعرف النظام بلقبه، فلا تعرف الجينية إلا منسوبة إليه. وذلك المبشر الكبير هو مهاويرا وردهمانا Vardhamana Mahavira. وهو المبشر الرابع والعشرون خاتم سلسلة المبشرين لهذه الدورة للكون. أما البارشويون فضلوا فى مجاهيل الزمن ولم يبق منهم إلا آثار ورسوم لا تنفى الظن ولا تغنى من الحقيقة شيئاً.

﴿ مهاويرا وردهمانا ﴾

مهاويرا وردهمانا مبشر الجينية وخاتم سلسلة دعاتها، كشترية الأروبة، ولد بقرية ويشالى Vaishali أو بيسارها Besarh الحديثة فى أقطاعية مگدها Magdha أو بهار Bihar الحديثة فى نحو سنة ٥٩٩ ق. م. وكانت القرية موطنا لقبيلة نتا Nata من الأسرة الكشترية، وكان بيته بيت المجد والكرامة. كان أبوه سدهارتا

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

Siddhartha من أمراء القبيلة وكانت أمه ترشلا Tarshala بنتاً لرئيس الشورى. فنشأ فى مهد السراوة والرخاء، وترعرع فى حجر النعيم وعشرة السلطان. وكانت القبيلة من الأتباع العامة لبارشواناث. وكانت الأرض المجاورة محطا لرهبان الطريقة، والقرية مجالا لهم ومزارا. فكانت بيوتهم الفصلية فى متنزه بحوالى «ويشالى» المسماة بكنداگراما، ينزلونها ويقيمون فيها. وكانت القبيلة تشجع على الطريق، وتكرم رهبانه، وتحتفى بقدومهم. فدرج وردهمانا فى بيت له صلة قرية بالرهبانية والرهبان وكانت لهم فيه مكانة سامية.

كان مهاويرا أوسط أنجال أبيه فلا يولىٰ العهد، فما كان له إلا أن يرشح نفسه لنيل الرياسة الدينية ويطمح إليها. وكان منذ طفولته عزوفا عن الترف متزهدا فى الرغائب، وقد صمم العزم أن يعيش عيشة الرهبان المتبتلين، ولكن لم يتيسر له الائتمام بهديهم كل الائتمام فى حياة أبويه. وأشفق عليهم التألم من هذه الحياة الشاقة، وأخر المطلب لموتهما. ومضى كعامة أتباع الطريقة برهة من الزمان، فتزوج وولدت له بنت. فلما توفى أبواه وقد إمتنعا عن الاقتيات امتناع تطوع وصاما مدى الحياة، وللصوم تجلة فى الطريق لنيل النجاة، فحدته بواعث الرهبانية إلى طلبته. وقد أوفى على الثلاثين من عمره وانتقلت الرياسة إلى أخيه الكبير ندى وردهمانا. فاستجازه للاتصال بالنظام الرهبانى، وأخذ مواثيقة اللازمة للاشتراك به. فخاف أن يتهمه الناس بسوء السيرة فى أخيه وجفائه عليه. فألجأه على التبتل وما أقرب عهدهما بأبويهما. فما انجز بمسئوله وأشار عليه أن يؤخر مبتغاه لسنة كاملة من موت أبويهما، فقبل مهاويرا.

فلما حل الأجل ومضت السنة، عُقد احتفال رسمى بالمتنزه تحت شجرة أشوكا Ashoka فأخذ العهود، وترك الدنيا تركا رسميا، وانتزع عن جميع ما يملك يميه ونتف شعره، وخلع ثيابه، ونزع حليه ورماهما بمشهد من الناس والآلهة، وقد

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

شهدوا بمناسبة الاحتفال وتبركوا بهذا الاحتفال العظيم. ولما تم أمر العهود والترك، صام مهاوير ليومين ونصف يوم، فما أكل شيئا ولا شرب. وقد نال أثناء صومه المتوالى قسطه من العلم الرابع من العلوم الخمسة عندهم الموسوم بـ «منا فريايا» أو قراءة أذهان الناس. وخلع عنه آخر ثوبه بعد ثلثة عشرة شهرا من تركه، وجعل يجوب الأقطار عاريا حافيا، وقيل كان هذا لاستغراقه وغيوبته عن نفسه. وما تزى بزى بعده. وأخذ التجوال فى أقطار الهند، يطوف فى كل صوب، لا يقيم فى قرية إلا ليلة ولا فى بلد إلا خمس ليال. فاذا جاءت أيام المطر يأوى إلى القرى والأمصار، فيقيم فيها أربعة أشهر فصل المطر بالهند. فأمضى اثنتى عشرة سنة كاملة يحل ويرتحل متأملا على نفسه، مستغرقا فى أفكاره، عائما عن نفسه.

كان حذرا فى الفكر والقول والعمل، لا يرتكب فاحشة ولا يعمل سوءا حتى أوفت السنة الثالثة عشر. وكان بقرية گرمبكا گرها Grumbhaka Garha بجوار جبال پارسناث Parsnath فى فناء معبد قديم، والشمس على نصف النهار. وكان غريقا فى تأملاته، صائما ليومين ونصف يوم، إذ نال العلم الأعلى، العلم المحيط بالكل. وقد طهر نفسه بالرياضات الصعبة والتأملات النفسية المستغرقة عن أوساخ الأعمال كلها خيرها وشرها، وحار النجاة عن تكرار المواليد. وفى الحين نفسه صار «جينا» أو فاتح الأعمال الثمانية، و «ارهاطا» Arhat أو الحقيق، و «أريهطا» Arihanta أو مهلك الأعداء، و «أروهنطا» Aruhanta أو مستأصل الأعمال.

وبعد سنة فاز بالدرجة العليا، درجة تيرثنكرا Tirthankara أى هادى السبيل فى بحر الحياة، وكان رابع وعشرين سلسلة التيرثنكرات. وأخذ يبشر بما لاح له من الطريق السوى الهادى إلى الفوز بالنجاة. فدعا أقاربه وأسرته الكشترية، وهم أهل السالة والسيطرة والجفاء، فأجابوه. وكانت عامة دعوته لأهل الشرف والثروة، ويلبونه ويهتدون بتبشيره حتى اجتمع حوله ألوف من الأتباع الخاشعة

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

والعامة وصار قطبا لرحى الطريقة.

واستمرت دعوته حتى أوفى على اثنين وسبعين من عمره وكان نازلا فى بابا Papa أو بنابورى Panapuri الحديثة من ولاية بتنا Patna الحديثة، وكان آخر فصل المطر. فألقى على الناس خمسا وخمسين خطبة بنتائج الأعمال وأجاب عن ستة وثلثين أسئلة غير مسئولة. ولما تمت خطبته الكبيرة على مارو ديوا Maru Deva حان أجله فقضى نحبه فى حوالى سنة ٥٢٧ ق. م.

وأول من اهتدى بهدايته گوتاما اندرا بهوتى Gautama Indra Bhuti، وكان يشرح للناس دعوة سيده مهاوير، فى اللغة المگدية الدارجة. فمهاويرا كان يدعو إلى الطريقة بلسان لا يتيسر للناس التفاهم فيه. و «سدرما» فى المحل الثانى منه ورئيس النظام بعد مهاوير. وهو الذى قد بلغ بما وعى من خطبات مهاويرا ومكالماته ووصاياه، وجمع معارفه فى اثنى عشر آنگا Anga وإحدى عشر أنانگا Upanga وفى غيرها من المجاميع.

﴿ الافتراق فى الجينية ﴾

قد انشقت عصا الجينية مرتين فى زمن حياة مهاوير، ولكنها ما ركد مائها ولا خمدت نارها. فتدرجت رويدا حتى كثر أتباعها ونالت مكانتها، ولم يبق للخلاف أثر ولا للانشعاب رسم، ومضت سبيلها من الرقى. وكانت بلاد مگدا قاعدة للجينية وقصبة لرهبانها وأولياء أمرها، فقاست مجاعة شديده وكانت تلك بعد وفاة مهاويرا بنحو قرنين. فانسدت أبواب الرزق على دلك العدد الضخم من الرهبان الذين كانوا يعولون فى أقواتهم على صدقات أهل القرى المجاورة. فلجئوا إلى الهجرة ليقل عدد المقيمين ويخف عنائهم عن سكان القرى المجاورة. فذهب زهاء نصف من الفقراء إلى الجنوب بزعامة بدرا باهو Bhadra Bahu

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

رئيس النظام، وأقام النصف الباقى تحت رقابة استولا بدرا Sthula Bhadra.

فلما ذهبت عنهم المجاعة واطمئن بهم الموطن، أشفق استولا باهو أن تذهب مستندات الطريقة وقانونها ويسرى فى النظام الفوضى. فعقد مجلسا فى باتلى بترا Path Putra ليجمع أمرهم على مستندات الجينية، فيصير لهم قانونا من الأدب الجينى المقدس، يرجعون إليه فى مؤتلفاتهم ومختلفاتهم، وكان ذلك بنحو ثلاثة قرون قبل الميلاد. فقرر المجلس قانونا مقدسا من الأدب الجينى، ولكن الناس لم يجمعوا عليه واختلف الرأى. وفى العصر نفسه قد عرض السؤال الحاد عن التزى برى يستر العورة والتعرى مطلقا فتشعب الناس. منهم من رأى التعرى من واجبات الطريقة ومدارا للنجاة، ومنهم من رأى خلاف ذلك وأوجب من اللباس قدر ما يستر به العورة. أما تعرى مهاوير فأولوه بغيبوبته عن نفسه فى تأملاته، فما كان يدرى ما ظهر منه وما ستر. وكان الناس مختلفين فى أمر اللباس إذ رجع الرهبان من الجنوب، وعضدوا رأى التعرى، وأنكروا القانون. ولاموا على أمور قد طوا أنها ليست مما دعا إليها السيد مهاويرا، بل ابتدعها الناس أثناء هجرتهم. واستفحل الاختلاف حتى افترقت الجينية إلى فرقتين عظيمتين: سوتامبرا Svatambara أى أصحاب الزى الأبيض، ودگامبرا Digambara أى أصحاب الزى السماوى أو العراة. وانفصلت إحداهما عن الأخرى إنفصالا رسميا. وتفرق كل منهما إلى فرق كثيرة بمرور الزمن ومدى الدهر.

ويرجع اختلاف هاتين الفرقتين إلى أمور غير هامة من التاريخ والأخلاق والعقائد. أما الفلسفة وتعليلات الطريقة ومبادئه ومناحيه فيها سيان. يقول الدگامبرية إن مهاويرا قد حملت به أمه ترشلا من بدء الأمر، لا أنه استل جنينه من رحم ديوندا البرهمية ثم ألقى فى رحم ترشلا الكشترية كما يعتقد السوتامبريون ويقولون إن مهاويرا ترك الدنيا منذ الطفولة، فما تزوج ولا ولدت له

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

وأخذ يجوب البوادى ويطوف الحواضر من البدء، واعتزل عن الأهل والسكنى ورمى عنه كل شيء من متع الغرور. ويعتقدون أن العرفاء الكاملين لا يقتاتون بشيء، ويقولون إن من يملك شيئا من متع الدنيا — ولو كان ثوبا واحدا يستر به عورته — لا ينجو. والنساء لا حظ لهن من النجاة ما دمن فى قوالب النساء. ويدعون أن الأدب المقدس الجيى قد ضاع بكل قضه وقضيضه، وما يتلوا السوتامبريون من الكتب والمجاميع فموضوع ومختلق.

﴿ الأدب الجينى المقدس ﴾

الأدب الجينى المقدس عبارة عما توارث من مهاويرا وردهمانا ومريديه العرفاء الكاملين من الخطبات والوصايا والمكالمات وغيرها مما وعى الناس منهم. واستمر ذلك التراث المقدس ينتقل من الشيوخ إلى المريدين مشافهة غير مقيد بالكتابة. وبعد حقبة من الدهر اشفق الناس على ضياعه واختلاطه بغيرها. فعقدوا فى القرن الرابع قبل الميلاد كما ذكرنا مجلسا بـ «باطلى بترا» لتقرير مستندات الطريقة وترتيب قانونه المعتمد عليه. فجمعوا أحد عشر انكما Anga أو جزءا، وأربعة عشر بروا Purva أو بابا. ويقال إنه هو الذى قد اشتمل عليه الجزء الثانى عشر من الأدب المقرر فى ذلك المجلس، ولكن لم ينجح المجلس فى جمع الناس على ما قرره. يقول الدگامبريون إن القانون ما قيد بالكتابة إلا فى حوالى سنة ٥٧ م.، وكان قد ضاع من قبل بضياع الحافظين له العارفين به. فما استكتبوه إلا عن المعارف المتناقلة على ألسنة عامة الناس من مهاويرا ومريديه. ثم عقدوا مجلسا آخر بـ ولابهى Vallabhi بجوار بهاوانگر Bhavnagar فى القرن الخامس الميلادى، وقرروا الأدب المقدس لآخر مرة. وجمعوا أربعة وثمانين كتابا جعلوها مستندات مذهبهم وقانون طريقتهم. فجمعوا أحد عشر أنگا. أما الجزء الثانى عشر المشتمل على أربعة عشر بروا فضاع ولم يكشف بعد. وهذا الأدب الموجود عندهى السوترات والمتفرقات والشروح القديمة وغيرها. أما لسان أصول هذه

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الكتب فكانت اردهامگدى Ardhamagdi ثم اختاروا فى أوائل القرون الميلادية اللسان السنسكريتى لأدبهم المقدس.

﴿ العلم ﴾

يرى الجينيون أن الظواهر، سواء كانت خارجية أو ذهنية، موجودة فى أنفسها نعلمها أم لم نعلم. وكفى بالمشاهدة دليلا عليها. ويزعمون أن الشعور خاصة الروح أو النفس، بل كاد أن يكون هو الشعور، فانا لا نستشعر به إلا بتنويره الظواهر واسفاره عنها فاذا استشعرنا الظواهر استشعرنا الظواهر وأنفسنا من حيث أنا شاعرون ونجد من أنفسنا نورا تتنور به الظواهر وتتجلى، وهى علمنا بها. أما علمنا بأنفسنا فالنور والمنير والمستنير كلها واحد، والفرق إنما هو بالاعتبار. فالظواهر معروضات علمنا لا فاعلاته ويقف بحثهم على حدود العلم وتناقضاته وأنواعه وحيطته، من غير أن يتعدى إلى التنقيب عن المعلومات أنفسها أو شرائط وجودها، ومن غير أن يتجاوز إلى التدقيق فى العلم نفسه وكيفية حصوله وشرائط وجوده.

ويقولون إن الشعور الخالص والنور المحض، أو الروح فى أصل فطرته لا يضيق نطاقه عن إدراك شيء، لا فى الأرض ولا فى السماء. ويحيط بكل صغير وكبير علما لا يسده زمان ولا مكان، يعلم بمخبئات الضمائر وخافيات السرائر وعلمه علم مباشر من غير آلة وواسطة. ويدرك الأشياء كما هى من دون تناقض وتضاد. والتحديد والقصور والتناقض والاشتباه إنما تأتى من جهة تأثير الأعمال. فأوساخ الأعمال تزين على الروح وتمنع نوره عن الانتشار فى ظاهر الكون وباطنه، فتقصر ويضيق نطاقه عن الاحاطة بجواهر الأشياء وذواتها، وترى الظواهر بالشرائط الملائمة فى إضافات ونسب وظروف حسب الأغراض والغايات. ومنشأ التناقضات والأعاليط وتشتبه الأمور والأشياء. فنرى الأشياء فى إضافات وظروف ليست هى فى زمان إدراكنا أو مكانه، أو حسب أغراض وغايات ليست تلك

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

لنا. فاذا تطهر الروح وتصقل يرجع إلى ما كان من أصله وجوهره، ويصير محيطا بالكل شاعرا به.

والتطهر والتصقل إنما يأتيان بالعلم الصحيح الواقعى بمظلمات الأعمال ومجلياتها، وفواحش الأمور وصوالحها، فعمل بأعمال صالحة مجلية ونجتنب الفواحش المظلمة. فنستطرد إلى البحث عن العلم وأنواعه وكيفية قضاياه، ايجاباتها و سلوبها وتناقضاتها وتوافقاتها، ومصادرها ومواردها ومناحيها ومجاريها، ليتميز صحيح العلم عن فاسده ويفصل صادقه عن كاذبه. فنجعل الصحيح إماما نأتم به ودليلا نهتدى به، ونرفض الفاسد فلا نرتاب ولا نضل، فيشرق الكون بنورنا ونراه بأشرافنا ونرجع إلى ما كنا من بدء فطرتنا وأصل جوهرنا. هذا وجهة نظر الجينيين إلى العلم، فليست للعلم قيمة عندهم إلا لنفعه فى العمل بالخيرات والاجتناب عن السيئات، بل فى إنتهاء العمل والتطهر عن أوساخه.

﴿ أنواع العلم وحدودها ﴾

قد قسم الجينيون العلم بجهات عديدة تقسيمات ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية وغيرها، واستخرجوا أقساما أولية وثانوية وغيرها. وعرفوها بتعاريف يدخل بعض الأقسام فى بعض، وتخالفوا فيها وتعاضدوا وتعاقبوا واستدركوا وأولوا ثم وجهوا. ونذكر أقساما هامة وتقسيمات ضرورية وتعاريف مشهورة يحتاج إليها القارئ فى مهمات فلسفتهم.

العلم على خمسة انحاء: متى جنانا Mati Jnana أو العلم بالحواس. وشروتا جانا Shruta Jnana أو العلم بالمستندات المقدسة، واودهى جانا Avadhi Jnana أو العلم بالوجدان البصرى، ومنا پريايا جنانا Manah Paryaya Jnana أو العلم بقراءة الأذهان، وكوالا جنانا Kavala Jnana أو العلم الوجدانى المحيط.

١ - متى جنانا، هو الادراك بالحواس والذهن كليهما، ويدخل فيه العلوم

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

المخزونة فى الحافظة والتذكر بمعونة الارتسامات المخزونة، ويندرج فيه القياس والاستقراء المبتنيان على المشاهدة. وقد يقسم «متى» على الاحساس والحفظ والفهم. ويقولون إنه يستلزم هذا النحو من العلم حضور الأشياء المعلومة للحواس أولا حتى تدرك بها.

٢ ـ شروتا جناتا، هو العلم المستخرج من المستندات المقدسة للطريقة، كل ما استنبط من علاماتها ورموزها وألفاظها وحروفها، كتابة أو صوتية. ويجب لهذا العلم من البيان بالنقوش أو الأصوات وتدعى الجينية كسائر الفرق الهندوسية أن كتبهم المقدسة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، وقد أحاطت بكل شيء علما. وهو أربعة انحاء: لذى Labdhi أو الالف بالدوال، وباونا Bhavana أو التوجه والركوز عليها، وأوپا يوگا Upa Yoga أو الفهم، ونيا Naya أو الوجهة أى العلم بالجهات المختلفة للدلولات. ويقولون إن «شروتا جناتا» وكذا «متى جناتا» من أقسام العلم غير المباشر لتوسط آلات الحس أو المستندات بينها وبين معلوماتها. وقيل إن «متى» من المباشر.

٣ ـ اوذى جناتا، هو إدراك ذى الصورة من الأشياء من دون حيلولة الناصرة. وهو إدراك مباشر للروح بنفسه. وهو ملكة اكتسابية مختصة بالبشر وإنما تحصل بتصقيل الروح عن كدورات الأعمال تصقيلا غير تام. فلا يتجاوز هذا الادراك عن المبصرات. وأما حسب الزمان فلا يتعدى عن قطعة من جزء أصغر من طرفة العين.

٤ ـ مانه پريايا جناتا، هو علم مخبئات الضمائر والتصورات فى السرائر. وهو كشف روحى من غير وسيلة أخرى أية كانت. وأكثر الجينية على أن هذا الكشف مقصور بأحوال الموضوعات المادية وتطوراتها. ولا ينال هذا الكشف إلا الذين قد تركوا الأهل والسكنى، وطهروا أنفسهم من أوضار الأعمال بر[illegible]

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الشاقة. فيدركون به تصورات ذهنية لسائر الناس من غير تخصيص، أو الارتسامات الذهنية من الأشياء المادية فقط وأحوالها الحاصلة فيه، كما ذهب إليه الأكثرون.

يقولون إن المواد الذهنية عند الافتكار والتأمل والتصور تقبل تغيرات وانفعالات خاصة، يختص كل منها بموضوع خاص معين. وصاحب هذا العلم إنما تنكشف له هذه التغيرات والانفعالات بالمباشرة. فيستخرج منها العلم بالموضوعات الخارجية وأعراضها الحالة فيها، فالعلم بها علم غير مباشر. وعند البعض علمها أيضا مباشر من غير استنباط واستخراج. ويقولون إنه إذا انكشفت المادة الذهنية، انكشف ما يحل فيها بانكشاف واحد بعينه.

٥ ـ كوالا حنانا، هو علم وحداني محيط بالكل من غير واسطة وآلة. وهو انكشاف الحقيقة كما هي بجميع إضافاتها وعلاقاتها في الأزمان والأكوان كلها أزلا وأبدا. إذا تطهر الروح عن أوساخ الأعمال وتبددت السحب المتراكمة عنها أشرق الروح. فتشعر عن كل شيء ويتجلى الكون والمكان والزمان، فينكشف كل شيء ظهره وبطنه، لا يغيب عن علمه شيء، لا في الأرض ولا في السماء. وتأفل نجوم سائر العلوم إذا بزغ شمس هذا العلم.

وقد ذهبوا إلى أن الكون، وإن هو مجتمع حقائق غير متناهية ذو علاقات وإضافات، كل حقيقة منها لها علاقة ورابطة بسائر الحقائق الكونية. فلا تستوعب منها حقيقة واحدة علماً إلا أن يستوعب جميع الحقائق غير المتناهية ولا يقدر عليه إلا من حاز هذا العلم المحيط. قال قائلهم «من يعلم واحدا فقد يعلم الجميع ومن يعلم الجميع فقد يعلم الواحد».

وهذه العلوم الثلاثة الأخيرة لا تحتمل الخطأ والشبهة والكذب، أما الأولان فيحتملان الكل. أ[illegible] صحيح فيعرض الأشياء في إضافات وعلاقات من الأمكنة

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

والأزمنة والغايات وغيرها هي فيها، وهذا نافع فعلا. وغير الصحيح فيعرضها في غير ما هي فيها مما ذكرنا. إذا اشتبه حبل بحية مثلا فنشأ الغلط إنما هو رؤية الحية مضافة إلى مكان أو زمان أو غيرهما من الأشياء المجاورة وهي ليست بمضافة إليها. ومثل هذا الغلط داع إلى التناقض والتضاد. وينشأ عن قلة المبالاة وعدم الصلة بالموضوعات المعروضة للعلم.

ويبحث الشعور نحوين: درشنا Darshana أي التصور، وجنانا Jnana أي التعقل. التصور هو الادراك البسيط المبهم من غير تفصيل وتفريق، والتعقل هو الادراك المفصل المستوعب أجناس الأشياء وفصولها. وقد يقال درشنا للوجدان الصرف وعرفانه إياه، وجنانا للعلم بالموضوعات الخارجية. ويتلازمان.

قد تدرك الأشياء على ما هي عليها في أنفسها. ويسمى بـ برمانا Pramana. وقد تدرك حسب إضافاتها وعلاقاتها وغاياتها التي طمعت ويسمى بـ نايا Naya أو الوجهة والأحكام الخارجية للموضوعات إنما تنتج عليها حسب جهاتها، الخاصة والعامة من هذا القبيل.

يدعي الجينيون أن الأحكام كلها إضافية. فكل حكم يصدق من جهة يجوز أن يكذب من جهة أخرى. فكوادب القضايا فيها جهة الصدق، والصوادق فيها جهة الكذب، فلا يصح الحكم بصدق قضية مطلقا ولا بكذبها مطلقا وقسم الجينيون الجهات بتقسيمات عديدة بحسب اللفظ والمعنى، بحسب المادة والصورة. وقد كادوا أن يستقصوها. فما تركوا حكما إلا تنقبوا فيه عن جهات الصدق والكذب. وطبقوا بين اختلافات المدارس الفكرية ووفقوا بين آراء أساطينها وتعاقبوا على الكل في أحكامهم المطلقة وأخطأوهم. وتقابل هذه الجهات الاضافية وجهة إطلاقية مستوعبة للكل ومحيطة بجميع وجهاتها، وهي وجهة كاملة للحقيقة والوجهة نفسها على نحوين: الحقيقة في محوضة ذاتها وصرافة فعليتها، والحقيقة

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

بوجهة وجودها المشروط.

﴿ القضايا الممكنة الصدق ﴾

قد استعانوا بتكثير الجهات فى الموضوعات فى تأليفهم القضايا فى سبع صور، كل منها ممكنة الصدق. الايجاب فقط. السلب فقط، الايجاب والسلب معاً، كون الموضوع غير صالح للحكم عليه ايجابيا كان الحكم أو سلبيا. الايجاب مع كونه غير صالح للحكم عليه، السلب مع كونه غير صالح للحكم عليه، والايجاب والسلب معاً مع كونه غير صالح للحكم عليه. وليست القضايا متناقضة لاختلاف جهات الموضوع، فتراد فى كل قضيه وجهة خاصة للموضوع تلائم المحمول، وهما متحدان مادة متغايران صورة. ويقال لهذا التأليف المسع سيادوادا Sadavan أى الامكانية. فانه يفيد أن جميع أحكامها ممكنة الصدق وليس شيء منها ضروريا بحيث يقطع احتمال صدق الغير فيضاف فى كل من هذه التأليفات لفظة سيادا Sada أو الامكان فانه لا شيء فى الكون إلا يتغير ويتحرك وهما من طبيعة الكون وفطرة الكائنات. فكل موضوع فى الكون لا يثبت له شيء ولا يسلب عنه شيء إلا مشروطا ومقيدا ومضافة إلى الظروف. والحقيقة بحسبها ذات فنون وأطوار. طورا يثبت لها محمول وطورا يسلب عنها، ويجتمعان تارة ويرتفعان أخرى، مرة مع الايجاب ومرة مع السلب، ومرة معهما جميعاً ومرة بدونهما. ونذكر الصور السبع للقضية وجهات صدق مدلولاتها بالايجاز.

١ ـ كائن بالامكان. الشيء من حيث نفس مادته وصورته وزمانه ومكانه كائن. مثلا: ماكينة الكتابة المصطفة من الحديد المصورة بصوره خاصة من الشكل والقدر كائن الآن على طاولتى.

٢ ـ ليس بكائن بالامكان. الشيء من جهة مادة غيره أو صورة غيره أو زمان غيره أو مكان غيره ليس بكائن، فهو ليس شيئاً غير نفسه. مثلا: ماكينة

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الكتابة المصطنعة من الفضة أو المصورة بصورة غير صورتها أو فى السنة الماضية أو على مضطجعى ليست بكائنة.

٣ ـ كائن وليس بكائن بالامكان. الشيء من جهاته الأربع كائن ومن غير هذه الجهات ليس بكائن، مثلا: الماكينة كائنة بجهاتها الخاصة وليست بكائنة بغير تلك الجهات.

٤ ـ غير صالح للحكم عليه. قد أوجب للشيء كون وأسلب عنه كون، ولا يمكن الايجاب والسلب لشيء واحد فى آن واحد بالتفات واحد من شخص واحد فهو غير صالح للحكم عليه أى حكم الايجاب والسلب جميعا بالتفات واحد من شخص واحد، مثلا: الماكينة وإن هى كائنة من جهات وليست بكائنة من جهات فى الآن نفسه. ولكن لا يمكن ما الحكمان دفعة واحدة فى الآن نفسه فهذه الجهة للموضوع أى جهة كونه ملتفتا بالتفات واحد لا تصلح للحكم عليه بحكمين الايجاب والسلب دفعة واحدة.

٥ ـ كائن غير صالح للحكم عليه بالامكان. الشيء من جهات كونه الأربع كائن فيحكم عليه بالكون وهو كائن وليس بكائن، ولا يصلح الموضوع أن يحكم عليه بهذين الحكمين دفعة واحدة

٦ ـ ليس بكائن وغير صالح للحكم عليه بالامكان. الشيء من جهات غير جهات كونه ليس بكائن فيسلب عنه الكون وهو كائن وليس بكائن، ولا يصح الموضوع أن يحكم عليه بالحكمين بالتفات واحد.

٧ ـ كائن وليس بكائن وغير صالح للحكم عليه بالامكان. الشيء كائن من جهات وليس بكائن من جهات، ومع ثبوت الوصفين لا يحكم عليه فى الآن نفسه

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

وكأنهم أرادوا بهذه التأليفات القليلة الجدوى، تعديد جهات الموضوع، وتقدير محتوياتها، وتمرين الفكر بتمييز مناحى الكلام ومجاريه، والبحث عن نواحيه الممكنة قبل الرد والقبول.

﴿ اليواقيت الثلاثة ﴾

ما حياتنا الدنيا إلا تعس مستمر وشقاء منهمر. نعيمها زائل والعيش فيها باطل. التغير والفساد والتصرم والفوات، نمر فيها ونذوق، ثم نطعمها فنقاسى وبالها، نطمح إلى الخير فنكسب شرا، نبتغى السعادة فتصيبنا شقاوة، حتى نموت ولم تنته حسراتنا، فنحيي حياة قد كسبتها أيدينا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وخيرها تهلكه فكيف بشرها! وتدوم عجلة الموت، والحياة تتدحرج، وعربة الولادة والممات تتحرك. فيا لنا من خاسرين وكيف بنا مغضوبين ضالين!

وما دأبنا إلا اعتلاقا بالحياة وترفها، وانغماسا فى رخائها. فنميل إلى زخارفها ونعطف إلى شهواتها، فنلتزق بعجلتها تدور بنا ونركب فى عربتها تسير بنا. ولا دواء إلا أن ننتزع عنها ونزل بالتزهد فى الحياة وترفها والعزوف عن سرائها وضرائها، فنميل عن زخارفها ونعطف عن شهواتها.

﴿ الغواية ﴾

ما ذا الذى لا يزال يمسكنا بعروة الحياة فندور بها كما تدور فتشق، وما ذا الذى يزين لنا زخارفها الباطلة فنعمى عن الحق فنصلى. يقول الجينيون إن السبب الفذ لاغترارنا بالحياة ومقاساتنا جهدها هو الغواية أو مثياطوا Mithyatua. فتبعث عقائد فاسده، وتنشأ جهلا أو علوما باطلة، وتسبب أخلاقا سيئة، فتهدى إلى طريق يوصل إلى مسخطة ومتعة. ولا يزال يظلم الروح فى ظلمات بعضها فوق بعض، فيصم ويعمى ويحارى بالحياة ويعدل نفسه بها، فيدور بعجلتها موتا ومولدا. ويقولون إنها أزلية من غير بداية قد غشى أنفسنا ولازم أرواحنا من

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

أمد لا يتناهى وقرون لا تحصى. فتكدرت الأرواح وأظلمت فألقيا فى غياهب الحياة وشهواتها، لا ترى منها منسلا ولا نجد منها مخرجا. ولا تزال مقيدين بالحيوة مكلبين بشهواتها حتى يأتى الأجل المتاح بانبعاث من أعماق الروح صدفه أو لداعية خارجية من هداية العرفاء المشرين. والأجل تطول وتقصر، فاذ جاء الأجل تنقشع السحب المتراكمة من الغواية، فتلمع فطرته من نور ساطع وسرور بالغ وقرار مكين. فيطمح إليها ويبتدأ تطهره. ويبدأ السبيل المثلث. ويتلألأ اليواقيت الثلاثة أو ترى رتنا Tri Ratna كما يقوله الحيون.

الياقوتة الأولى

الياقوتة الأولى من اليواقيت الثلاثة الحينية هى الاعتقاد الصحيح، وهو أساس النجاة وأصل التطهر ويريدون به الاعتقاد بالحيية المنهج المعد والصراط السوى قد هدى إليه العارفون المحيطون بكل شىء علما. وينبعث الاعتقاد الصحيح أو سميك درشنا Samyag darshana إذا انهتكت الكدورات الرائنة عليه أو المواد اللارقة به التى تمنع الروح عن الاستشعار به. فلما استشعر به وعطف إليه يطلع عليه العلم الصحيح. ويكمل الاعتقاد ويصممه ويمكنه فلا يشتبه ولا يلتبس ولا يزول.

الياقوتة الثانية

والثانية من اليواقيت الثلاثة الحينية العلم الصحيح أو سميك جانا Samyag jnana. وهو فى المحل المتأخر من الاعتقاد الصحيح. وهو العلم بالحقائق الأساسية للكون من حقيقة الروح وغير الروح، كما هى بتفصيلاتها. وعلومه الصغيرة والكبيرة طبق تعليم معلمى الطريقة ورهبانها الهداة المهديين. ويتدرج فى الرقى والكمال تتدرج انفصال المواد المحيطة بالروح المانعة عن إشراقها وتصعد حتى تتنور الكون ويكشف بكل قضه وقضيضه وترتفع الحجب المظلمة، ولا يبقى

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

من الاشتباه والالتباس والظن والريب من باقية. ولا يرتقى إلى مثل هذا المستوى إلا برقى الروح إلى أرفع درجات الكمال من الخلق الصحيح، فيستكمل به حتى يحيط بالكون أزلا وأبدا.

﴿ الياقوتة الثالثة ﴾

الخلق الصحيح أو سميك چارترا Samyog Charitra ثالثة اليواقيت الثلاثة الحينية. وهو فى المحل الثانى من العلم غير الكامل وسابق على الكامل منه، وكادا أن يكونا متلازمين، كل منهما يستكمل بالآخر. فاذا تكاملا فقد نجى الروح وتخلص عن تقمص الأجساد جسدا بعد جسد، واستمراره فى تقلبات الحياة والممات من غير فوات. والخلق الصحيح هو التحلق بالأخلاق الحينية من التحلى بالحسنات والتخلى عن السيئات، فيتصقل الروح من شوائب المادية ويتخلص عن طلبات الأعمال. فينال ما فاته من نور البصيرة ويسترد فقده من السرور والقرار، فيواصب على ما يقلع آثار الأعمال القديمة وسد سبيل الحديثة. فيأخذ المواثيق الخمسة أو پنچامهاورتا Pancha Mahavrata، وقد سبق ما ذكرها. وللمواثيق تأثير بالغ فى القلع والسد كليهما. وقد فسروها بتفسيرات لا تترك شيئاً يلائم الزهادة وينابذ التشدد فى عدم الاصرار بالحياة قطب رحا أخلاقهم.

وقد عد بعضهم سبع خلال لطهارة الروح: أولها أخذ المواثيق. الثانية المحافظة على التقوى فى القول والمشى وأخذ الصدقات وقضاء الحوائج، فلا يصيب حيا من عمله سوءا. والثالثة تقليل الفكر والقول والحركات البدنية. والرابعة التمسك بعشر خصال من العفو، والتواضع والاستقامة، والصدق، والطهارة، والضبط، والتقشف ظاهرا وباطنا، والايثار، والتزهد، والاعتزال عن النساء. والخامسة التأمل فى الحقائق الأساسية عن النفس والكون. والسادسة التغلب على جميع المتاعب والهموم الناشئة من الجوع والعطش والحر والبرد وغيرها

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

بالتحصن عنها. والسابعة الفوز بالطمانية والطهارة والقناعة الكاملة والخلق الكامل.

هذه هى أمهات الأخلاق الحينية، وكاد أن يكون متجهاً هو إعدام العاطفة. وكأنها هى الوثاق الذى شد الروح بالحيوة الدنيا وسلب عنه سكنه، وأخرجه عما كان فيه وألقاه فى الظلمات يعمه. وإذا عدمت العاطفة فقدت الأعمال تأثيراتها وضعف وثاقها، ويتفكك ويصير حرا مطلقا، فيرجع إلى ما كان فيه من السرور البالغ والعلم المحيط والقوة الشديدة، كل منها دائم من غير قصور وبدون نهاية ثم لا يعود أبدا. وهذه هى النجاة الجينية.

﴿ الكون ﴾

الكون محتو على حقائق لا تعل ولا تحصى، واقعة فى أحيازها وأمكنتها. مقترنة بأزمنتها وأوقاتها، متغيرة تخلع صورا وأشكالا وتتزى بأخرى معروضة لعلما، موجودة باصافاتها وعلاقاتها، متميزة عن جميع ماعداها تميزا حقيقياً. متصفة بأوصاف غير متناهية بعضها مثبتة وهى التى بها هى هى، وبعضها الأخر منفية وهى التى ليست هى هى. فيسع نطاق الواحدة منها أشياء غير متناهية عدد أوصافها المنفية. فالعلم بحقيقة واحدة منها علما كاملا مستوعبا يستلزم علم جميع الحقائق غير المتناهية الحاملة جميع أوصافها المنفية مثبتة. أما المثبتة فلازمة لا تخلفها ومفارقة تجيء وتذهب. والأوصاف حالة فى جوهر مستقل قائم باق. وحصروا هذا الجوهر الحامل فى نوعين متمايزين مستقلين فى وجودهما من غير احتياج أحدهما إلى الآخر بحسب ذاتيهما. وكل منهما مؤلف من جواهر فردة غير متناهية العدد. أحدهما جوهر حى أو روح، والثانى جوهر غير حى أو جسد. ويزعمون أنه ما فى الكون شيء محسوس جمادا كان أو نباتا أو حيوانا طبيعيا كان أو صناعيا، أرضيا أو سماويا، كلا أو جزءاً إلا مؤلف من جزء حى وجزء غير حى، مرتبطين برابطة أزلية، مجهولة الكنه، ناشئة، مباشرة أو غير

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

مباشرة من الغواية السارية فى الروح أو الجزء الحى من بدء الأزل لا يُدرى كيف سرت ولما غشيت ومتى أحاطت.

ويقولون إن الغواية السارية فى الروح تبعث فيه شهوة الحياة فى جسد خاص والعطف إليه، فيحدث الجواهر المادية أو الأجزاء غير الحية الملائمة بذلك الجسد، فيحفه ويغشاه، فيظلم الروح وينكدر وتكس أوصافه اللازمة ويتحسد، ولا يزال يتقمص أجسادا تلائم أعماله السابقة وشهواته السالفة، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ويمال قسطه من الملكات العقلية والحسية طبق الأجساد المتداخل فيها. فأرقى الأرواح المتجسدة يحوز عشر ملكات من الحواس الخمس والتنفس والقوة، والتمسك بالمادة والنطق والدهن، أما أحطها فلا تخلو عن أربع ملكات على الأقل.

الأعمال

الأعمال عند الجينية عبارة عن الآثار المجتمعة العاشية بالروح، الناشئة من فعل الروح، المغشى بكدورات الغضب والكبر والاغترار والطمع: العواطف الملصقة أو كتايات Kashya. ويقولون إن الغواية غواية الاعتقاد والعلم والخلق تنشأ فى الروح أمالا وعواطف، وقد أسقاها. ويسمونها بهاواكرما Bhava Karmana أو الأعمال الميلية التى تجذب موادا لطيفة تجتمع من تأثير الأفعال وتلصقها حول الروح، فتحفه وتحيط به، ويقال لها الأعمال المادية أو دريوياكرما Dravya Karmana.

ويزعمون أن المادة الأعمالية هى التى تبعث فى الروح أعمالا ميلية. أو العواطف والأميال الملصقة الحادثة مادة الأعمال. فتهيأها وتعدها لقبول الأجساد طبق نفسها وعواطف الروح المغوثة بها. فكل من الأعمالين علة ومعلول. الأعمال المادية السابقة علة للأعمال الميلية اللاحقة. والأعمال الميلية اللاحقة علة

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

للأعمال المادية التابعة بعدها. وهذه السلسلة سلسلة العلية والمعلولية مستمرة من الأزل من غير انتهاء وانقطاع. ولا تزال تتسلسل حتى ينحو الروح من الأعمال ويتطهر من أوساخها

إنما الأعمال غشاوة الروح تمنعه عن خصائصه الطبيعية اللازمة من العلم الصحيح المحيط. والاعتقاد الحق، والسرور الدائم. وتنشىء فيه العوارض الأحدية من الاغترار، والضعف، والتحسد، وتفاوت الأنساب. والأعمار، ولكل من هذه الآثار علة خاصة من الأعمال. والأعمال حسب تأثيراتها تنقسم إلى ثمانية أقسام هامة كبرى: (وللاقسام أقسام كثيرة تركناها).

١ ـ الأعمال الساترة عن الروح اعتقاده الحق. أو درشناورنا Darshana Varana.

٢ ـ الأعمال الساترة عن علمه الصحيح، أو جناناورنا Jnana Varana

٣ ـ الأعمال الباعثة على الاحتياط بمتع الدنيا، الساترة سروره السرمدي أو ويداناكرما Vedaniya Karmana.

٤ ـ الأعمال المصلة صلالا فكريا أو فعليا، أو موهياكرما Mohaniya Karmana

٥ ـ الأعمال المحددة الأعمار من طولها وقصرها، أو ايوسكاكرما Ayushka Karmana

٦ ـ الأعمال المجسدة التي تقسر الأرواح على التقمص بالأجساد. أو ناماكرما Nama Karmana.

٧ ـ الأعمال المشخصة مستواه النسبي، أو گوتراكرما Gotra Karmana

٨ ـ الأعمال المحددة احتظاظه بمتع الدنيا، أو انترايا كرما Antaya Karmana

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

وهذه الأعمال كلها محسوسة مرئية عندهم. ويزعمون أن ما ليس بمحسوس ليس بنافع ولا ضار. واحتكموا فى إثبات دعواهم بالأمثلة من الظواهر المادية المحسوسة. ولعلهم تسامحوا فى مدلولات الأعمال وأرادوا بمحسوسية الأعمال، محسوسية آثارها لا تأثيراتها.

ويرون أن الأعمال هى التى تسوى مستوى الوجود، فترفعه وتحطه. لا شرف نسبياً كان أو كسبياً، روحيا كان أو ماديا. إلا وتقابله أعمال سابقة توجه وتوتيه، وتمنعه وتشقيه. وليست فى الكون درجة إلا يصعد إليها بالأعمال ولا دركة إلا يهبط إليها بها. خير كل شىء بيده، فيرقى إلى أقصى الغايات من العلم المحيط والسرور الدائم والقوة العظيمة. لا مانع عنه إلا الأعمال. ولا موصل إلا هى. الآلهة لا توتيه أمانيه والشياطين لا تمنعه عن آماله. نور الهداية يشرق من باطنه وظلمة الضلالة تنهض من أعماقه. ولكل أجل. والآجال تطول وتقصر. أما الهداة أو الـ «تير ثنكرات» فتشدد فى الثورة الباطنية الناهضة من الأعمال وتقصر الأجل وكل شىء بمقدار.

الاله المكون

قد أنكرت الجينية الاله الواحد. الشخصى، الخالق للكون، العالم الكل، ذو الطول والقوة. وأثبتت أرواحا أو نفوسا غير متناهية العدد، عالمة الكل أولى قوة وقدرة. وأحالت أمر التكوين على تفاعلها بالجواهر المادية بصلة بينها وبين المادة قديمة مجهولة الكنه. الموضوعات الكونية عندهم مجتمع الجواهر الحية واللاحية بأوصافها اللازمة وأعراضها المفارقة المتغيرة آناً فاناً. أما الجواهر وأوصافها اللازمة أو خصائصها فأزلية أبدية، لا تحتاج إلى مكون يكونها ومستمرة البقاء لا يعدمها معدم، فليس لها إله خالق أو مفن. «الظواهر الموجودة لا يفنى ولا يتكون. أما وجودها وعدمها فمن وجهة الأوصاف والعوارض». والاعراض

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

قديمة نوعا يذهب مجتمع منها وينوب عنه مجتمع آخر بعلل كامنة فى باطنها ومعدات خارجة عنها. فالدهر أو كالا Kala، والطبيعة أو سوابهوا Svabhava والضرورة أو نياتى Niyati، والعمل أو كرمنا Karmana، والشهوة إلى الوجود والعمل أو اديامًا Adyama، تفعلها مجتمعة متعاونة. وكل منها قديمة قدامة الجواهر الكونية وخصائصها اللازمة. وتستمر التقلب والتغير لاستمرار عواملها وقوابلها وكفت بها معيرتاه ومقلناه من غير احتياج إلى الخالق المكون.

وقد عللوا السعادة والشقاوة بالأعمال، واستتبعوا الهداية والضلالة للانبعاث النفسى المتسبب بتبدد المادة الأعمالية وضعف وثاقها. وأسسوا النجاة على وهاء مادة العمل. فلا يسع الكون عاملا أخلاقيا منفصلا عنه مستبدا بنفسه. القوانين الأخلاقية هى نفس القوانين الطبيعية الكونية، وهى فى أعماق الأشياء وجواهرها فهى تنفصل عن المقس الأخلاقى وقوانينها وراء أنفسها.

أما الآلهة والنفوس السماوية فليست بكائنات متميزة عن الكائنات الأرضية تميزا جنسيا أو نوعيا، بل صنفيا. ويرون أنها تقلبات للكائنات الأرضية قد صارت إليها إلى أجل مسمى، جزاء بما عملت من خير. فاذا استوفت من نصيبها ترد إلى موالد مثلها أو غيرها أجر ما كسبت فى حياتها الالهية أو السماوية أو غيرهما ولما استوفت أجورها.

ويزعمون أن الدين قد فتحوا أعمالهم الثمانية، وسدوا أبوابها، وأفنوا عواطفهم وأهلكوا طاغيتهم، وطهروا نفوسهم من أوضار المادية كالارهاطين أو الجريين يرقون إلى الدرجة العليا من القداسة والقدرة والعلم والسرور. ولهم موضع من التحلة والقداسة أسمى من موضع الالهة والناس والكون كلهم أجمعين، بل كا أن يكونوا آلهة حقيقية إلا أنهم لا يخلقون ولا يسمعون الدعاء سمع إجابة وقبول. ولا ينصرون من يستنصرهم، ولا يدفعون الشر إذا أصاب أتباعهم

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

غيرهم، وهم معرضون عن الكون بأجمعه. وهم پرماتما Paramatma أو الأرواح السامية، وحسبهم سموا وقداسة خصائصهم الروحية قد صقلوها من الحرية والعلم والقوة والسرور البالغة إلى أقصى غاياتها.

والدرجة ليست ممنوعة عن نفس أى ما كان، وما سبيل نيلها إلا الاجتهاد لها والجد فى طلبها. وهما مفوضان إلى الأعمال السابقة وهى معللة بسابقتها، ويتسلسل من غير انتهاء، ولا ينصره أحد فى رقيه إليها. فمذهب الجينية فى جوهرها لا يرى لعبادة الالهة والولوه بالارهاطين موضعاً. أما تقديسهم الـ «تير ثنكرات» وركوزهم عليها فلاقتفاء آثارهم والايتمام بهديهم فى بدء رقيهم. وإذا ما ارتقوا فعلمهم هو الهادى.

الحقائق الأساسية

قد بحث الجينيون عن الكون بحثا طبيعيا وإلاهيا واستوعبوه ودققوا فيه، واستنتجوا نتائج بعضها حديثة فكرا وان هى قديمة عصرا. وبدءوا بحثهم بظواهر خارجية، وشاهدوا تكثرها وتغير صورها واستمرار موادها وتأصل حقائقها، فادعوها كذلك. ثم ارجعوها إلى وحدات عامة انتزاعية. ولكن ناحية بحثهم أخلاقية غاية ومطمحاً، فوجهوا الكون بالروح بل بالأرواح، وكادت أن تكون أرواحا بشرية، فان الأرواح الكونية المحبوسة بالجواهر المادية بأجمعها لا تطلق من قيودها وأغلالها إلا أن ترقى إلى البشرية. فتنال حريتها المقطورة عليها من سبيلها. والاطلاق والتخلص مقضيان لكل روح مهما يطل الأمد. وأثبتوا المادة لتأثير الروح فيها مستمدا بالغواية السارية فيه. فالكون عبارة عن الروح وغوايته، وتأثيره فى المادة وتألفه بها، ومكان التألف وزمانه وسببه ومعداته وموانعه، والماده نفسها وانحلال التأليف. وأدرجوا الجميع فى مقولات تسع أجناساً عالية للكون ويسموها الحقائق التسع أو نواتنوا Navatatva. وجمعوا أجناسا عديدة فى

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

مقولة واحدة وأفردوا أصنافا من جنس واحد بمقولات عديدة.

والمقولات بعضها كونية صرفة وبعضها أخلاقية بحتة. والبعض يمثل عن التأثير وسله وموانعه، والبعض يعرض انتهاء تأثير الروح وامتناعه عن فعله وانحلال التألف. وهذا هو الغاية المنشودة لهم. وأما المقولات الباقية فليتيسر على السالك المتنسك سد سبيل فعل الروح وتأثيره وتطهيره من أوساخ الأعمال. وللحقائق قيمة كبيرة فى التعليم الجينى. ويقولون «من يؤمن بالتعليم الصادق للحقائق الأساسية ينال الاستقامة».

الحقائق الأساسية التسع هى: جيوا Jiva أى الحى، وأجيوا Ajiva أى اللاحى، وپيا Punya أى الحسنة، وپاپ Papa أى السيئة. وأسروا Asrava أى محرك الأعمال، وسوارا Samvara أى السد، وبندها Bandha أى الوثاق ونرجرا Nirjara أى الاستيصال، ومكشا Moksha أى النجاة.

﴿ الحى ﴾

الجوهر الحى، ويطلق فى الأدب الجينى على الروح وآثاره من الحياة والشعور والقوة وهو أزلى، غير متغير فى أوصافه الجوهرية من الشعور والقوة، وهو الشاعر والمقتدر والمتألم والفرحان المسرور. وهو متكمم فى الأقطار الثلاثة قابل للتخلخل والتكاثف حسب الأجساد المتداخل فيها، حامل للصور الذهنية وسار فى الأجساد حسب أعماله وشهواته، ومتكثر عدد الأشخاص والأفراد

ويقسم بتقسيمات عديدة من جهات مختلفة. فمن حيث الكمال والنقصان إلى مستديمة الحرية أو «نظيرها» وهى أرواح ما شابت بالمادة واستمرت على طهارتها وإما مطلقة أو سدها Siddha وهى التى قد تخلصت عن شوائب المادية وتطهرت من أوساخ الأعمال ونالت فطرتها الأولى، وهذه الأرواح لا تعود مقيدة

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

أخرى. وأما دنيوية أو «سسارى» وهى التى لما تتخلص عن المادة، ولا تزال تهيم فى أجساد وأجسام حتى تطهر. ويقولون إن الروح الواحد لا يقيم بجسم واحد فوق اثنين وعشرين ألف سنة، وأقل مدة الاقامة ثمان وأربعون لمحة وقد تنقص. والتجسد المتأخر يكون أعلى وأكرم من المتقدم. والأرواح حسب مستقرها فردوسية وجهنمية، وانسانية وحيوانية، ونباتية وجمادية، وأرضية ومائية، وهوائية ونارية وغيرها من الجمادات طبيعية كانت أو صناعية. والأرواح حسب الحواس إما ذو حس واحد كالأرض ومواليدها، وإما ذو حسين كالديدان، وإما ذو حواس ثلاث كالنمل، أو ذو أربع كالزنابير، أو ذو خمس كالدواب، أو ذو ست: الحواس الخمس والذهن كالناس. ويقولون إن أنعاض الأجساد وأقطاع الأجسام أولوا أرواح. ويزعمون أن فى الكون أشجارا غير مرئية للطافتها سابحة فى أقطار الخلاء، كل منها يحتوى على أرواح غير متناهية فى العدد. وهذه الأرواح تنوب عن أرواح قد تخلصت من الكون المادى واستقرت فى قرارها، فتجذب المواد المنفصلة عن أرواحها.

﴿ اللاحى ﴾

الجوهر اللاحى، وهو أدنى كصنوه من الجوهر الحى. وينقسم إلى ذى أقطار وعديم الأقطار. وعديم الأقطار ينحصر فى الدهر وقد ينقسم إلى ذى الصورة وعديم الصورة. وذو الصورة ينحصر فى المادة. وعديم الصورة على ثلاثة أنواع: الخلاء والمسافة والمقام: فهذه خمسة أقسام: المادة والدهر والخلاء والمسافة والمقام.

١ ـ المادة أو پدگالا Padgala وعرفوها بتعريفات كثيرة، مرجعها إلى أنها دائمة، غير متغيرة بذاتها، ليست لها صورة ولا شكل، حاملة للصورة والأعراض المتواردة عليها ومتلازمة بها، قابلة للاتصال والانفصال والتخلخل والتكاثف،

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

من غير زيادة ولا نقص، ومعروضة للشعور غير شاعرة، وهي في ذاتها جواهر غير منقسمة.

تنقسم المادة إلى أفداد لا تتألف وتبقى مفردة، وجمرات متألفة من جوهرين وثلاثة وأربعة وخمسة وهكذا إلى غير النهاية. والجمرات أنواع. منها ما لا تصلح أن تكون مادة لجسم. ومنها ما هي مادة لأجسام كثيفة كأجساد الحيوانات. ومنها ماهي مادة لأجسام لطيفة كأجسام الكائنات السماوية من الآلهة وغيرها. ومنها ما هي مادة لأجسام منتزعة كأجساد المرتاضين الاشراقيين التي ينزعونها من أنفسهم، ومنها ما هي مادة لأجسام نورية. ومنها ما هي مادة للألفاظ والأنفاس. ومنها ما هي مادة الأذهان والأفكار، ومنها ما هي مادة للأعمال. ويقولون إن الجمرات تأليفات متصاعدة عددا ولطافة. فمادة الأعمال مثلا أثرى عددا وألطف تداخلا من مادة الأذهان والأفكار، وهي ألطف وأثرى من مادة الأنفاس.

٢ ـ الدهر أو كالا Kala وهو جوهر خارجي مستمر أزلا وأبدا. وهو استمرار محض ودوام بحت من دون جرم، وهو المنشأ لانتزاع الزمان المقسم إلى السنوات والشهور والأيام وهو غير مرئي يستنبط وجوده من الحركة والتغير والاستمرار والتقضي والحدوث.

٣ ـ الخلاء أو اكاشا Akasha وهو جوهر خارجي ذو حجم تتمكن فيه ذوات الأجرام من الأشياء وتشغله، وغير مرئي يستنبط وجوده من وجود الموضوعات ذوات الأجرام وشغلها إياه. وهو إما خلاء كوني يسع الكائنات وإما غير كوني وهو المتسع المقدر وراء الكون محيط به.

٤ ـ المسافة أو دهرما Dharma وهو جوهر خارجي وراء الخلاء شاغلة له

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الأشياء على الحركة فتتحرك فيه.

٥ ـ المقام أو أدهرما Adharma وهو جوهر خارجي وراء الخلاء والمسافة شاغل إياه، يمكن الأشياء على السكون فتسكن فيه.

ولعلهم قد وحدوا المكان المعروف منشأ لثلاثة أوصاف وفق أحوال الأجسام المتمكنة فيه من الاشتغال والحركة والسكون. ففصلوها وقدروا لها ثلاث طواهر مستقلة من المتسع والمسافة والمقام. فالخلاء يمثل عن المتسع، والمسافة عن ما فيه الحركة، والمقام عن ما فيه السكون.

تدعى الحيية أن الجزء غير المنقسم من الخلاء أو النقطة ألطف من الجزء غير المقسم أو الآن من الزمان، حتى أن عدد النقاط المشتمل عليها قدر أصبع واحد يساوى عدد آنات الدورات غير المتناهية من الزمان. ودورة واحدة من الزمان هى غير المتناهى من الزمان. والجزء غير المقسم من المادة أو الجوهر الفرد ألطف من نقطة الخلاء، فتسع النقطة الواحدة جواهر غير متناهية من المادة. والأحوال المادية ألطف من الجواهر المادية، فجوهرة واحدة، تحتوى على أحوال غير متناهية. فالآن أوسع من النقطة، تحل فى واحدة منها نقاط غير متناهية. والنقطة أوسع من الجوهرة، تحل فى واحدة منها جواهر غير متناهية. والجوهرة أوسع من الحال، تحل فى واحدة منها أحوال غير متناهية. واستخرجوا من هذه الفروق أن العلم المحيط بآن واحد يستلزم علم نقاط غير متناهية من الخلاء، والاحاطة بنقطة واحدة تستلزم الاحاطة بأجزاء غير متناهية من المادة. والاحاطة بجوهرة واحدة تستلزم الاحاطة بأحوال غير متناهية. أما الاحاطة بأحوال غير متناهية فلا تستلزم الاحاطة بجزء واحد من المادة فضلا عن الاحاطة بالآن.

﴿ الحسنة ﴾

العمل الحسن هو فعل الخيرات التى توتى الطمأنينة وتبعث أعمالا حسنة.

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

وقسموه إلى تسعة أقسام، كاطعام المساكين لا سيما الرهبان الجينيين، والـ وغيرهما. ويقولون إن الحسنات تجزى باثنين وأربعين طريقاً.

﴿ السيئة ﴾

العمل السوء، وهو ارتكاب الفواحش. وقد قسموا السيئة على ثمانية عش نوعا. كالكذب والخيانة والفجور والطمع ونحوها. وأكبر الجنايات عندهم ه الجناية على الحياة أو العصب. وتجزى السيئات بالدمامة والفقر والمولد فى قوالـ الحيوانات والجمادات وغيرها.

﴿ المجرى ﴾

وهو عبارة عن مجارى الأعمال ومنافذ آثارها المادية. فتعتى الروح وتقيده وقد عدوا اثنين وأربعين منفذا. كالناصرة والشامة والسامعة والذائقة واللامـ والمفكرة وغيرها.

﴿ السد ﴾

وهو عبارة عن الموانع والعوائق التى تمنع مجارى الأعمال وتسد منافذه وحصروا السدل فى سبعة وأربعين أصلا. ولكل أصل فروع كثيرة.

﴿ الوثاق ﴾

وهو عبارة عن عواطف وأميال تعلق الأعمال بالروح فتزين عليه. ويسمـ الوثاق حسب طبيعته ومدته وشدته وصحمته إلى أربعة أجناس.

﴿ الاستيصال ﴾

وهو عبارة عن استيصال مادة الأعمال وقلع شائبتها. وسبيله هو الرياض الشاقة الصعبة. رياضات بدنية ونفسية، وقد كثروا أعدادها وأحصوا أنواعـ ولصوم جميع العمر والامساك عن الطعام والشراب حتى الموت قيمة جليلة : الرياضات المستوصلة.

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

﴿ النجاة ﴾

النجاة هى آخر الحقائق الأساسية وغاية الكون بأجمعه ومطمحهم السامى. وهى عبارة عن اطلاق قيود الحيوة الدنيا، والتخلص عن تتالى الموت والحيوه بتفكك الوثاق وانفصال مادة الأعمال، والتطهر من أوضار العواطف والأميال. ووقوف الأعمال حسناتها وسيئاتها وانسداد مجاريها، وبالجمود للخير والشر، والتخلى عن العاطفة فى الفعل والترك.

والنجاة عند الجينية ليست بعدم محض. هى طور من الوجود غير أطوار الحيوة الدنيا، واحتياز عن دائره الموت والحياة، وتخلص عن تتابع الموالد، وفور بالسرور البحت الخالد لا يمسه ألم ولا حزن. ولا يشوبه زوال ولا انقطاع. وكون بدون العاطفة ووجود من غير ميل. وليست للأرواح الناجية من مطامع يطمعونها ولا مطامح يتوخونها. النجاة طور وراء أطوارنا المتشاهدة، فلا توصف بوصف بعلمه ولا بحال بتعقله «الناجى ليس بطويل ولا قصير، لا أسود ولا أزرق، لا مر ولا حاد، لا بارد ولا حار، . . . من غير جسد ومن غير مولد مكرر. هو يدرك ويعلم وليس كمثله شىء، جوهره من غير صورة وهو مطلق من غير قيد». هو علم وقدرة وسرور وطمانينه وخلود وقرار. ومستقرة فى سدهاسيلا Siddha Sila أى مستقر الكملة، موقعه فوق الخلاء الكونى، وتسكن فيه الأرواح من غير معاوقة ولا ازدحام. والنجاة وإن كانت لها بداية ولكن ليست لها نهاية بعكس التقيد.

ويعتقدون أن النجاة ميزة الشر فلا يتخلص أحد حتى يعبر المعبر الشرى. يقول مهاويرا فى أنشودته المرسومة بالورقة التى نظمها لاسهاض العلم المحيط فى نفس أحب مريديه «گوتاما إندرا» وقد تأخر لأسباب:

«تتبرم الحيوة يوما. مثل الحيوة كمثل الورقة الذابلة. إذا جاء أجلها

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

فاذا هى ساقطة. مداها قليل كطل على ورقة من عشب. لا ينال المرأ نجاته إلا إذا صادف فى موالده المتتابعة مولداً نشرياً والصدفة قليل. فمن للروح لا يتقيد بالتراب أو النار أو الهواء أحقاباً لا تحصى. وعسى أن يتزى بزى الشحرة أو الدودة أو الدابة. ويكاد أن يولد فى الجنة إلها أو فى جهم شيطانا. وقد قضى أن لا نجاة إلا للبشر، فاذا ولد بشرا فعسى أن لا يكون آريا Arya حنسية ويكون وضيعا أو دخيلا. وإن كان آريا أرومة فكيف إذا لم يكن حقيقا أو لا يتلقى القانون أو لا يؤمن به. ولو كان دا حظ منها فلم يستطع طولا أن يتخذ الرهبانية الصعبة سبيلا. ويتشبث گوتاما ويتضاءل فتتأى الصدفة رويدا، فيسئل مهاوير گوتاما أن يرمى عنه أغلال الاعتلاق التى تشده بتتابع الموالد. وقد اتخذ الرهبانية سبيلا الذى يهدى إلى النجاة، فليسلك عليه إلى نهايته. إنك قد عبرت البحر العظيم فلما وقفت، وما أقربك بالشاطىء، فبادر إلى الشاطىء الآخر. فمدار إلى دار الكمال، وهو قرار وسرور».

﴿ التلخيص ﴾

الجينية طريقة رهبانية رغم الطرق البرهمية، حرة عن الاستناد بالويدات، معاصرة للفكر البيشدى، مؤسسة على التشاؤم بالحياة الدنيا والسآمة عن تكرار الموالد. فابتدعوا طريقاً للتبتل عنها، وعالجوا الحياة بالجمود لها، لسرائها وضرائها، وداووا الأميال والعواطف بأفنائها ولو بإخماد شعلة الحياة بأيديهم، وتفقدوا النجاة فى وجود من غير فعلية، وسرور من غير ابتهاج، وقوة من دون مقاومة.

وللجينية مزية فى إعلاء علم الفلسفة الهندية وفضل فى رقى الفكر الهندوسى وقد رفعت مستوى الأخلاق الهندوسية بنظريتها الهامة، نظرية عدم العنف أو عدم الجناية على الحياة، وهى فاصلة وشاح الفكر الأخلاق للهند. ونظرية تأثير

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

المادة من الجواهر الفردة لها قيمة فى تاريخ الطبعيات العالمية. وللمنطق الجينى فضيلة باهرة فى توسيع نطاق البحث وتنقيب مواده، لا سيما للقضايا الامكانية وتكثير جهات صدقها. ولها تأثير عظيم فى الانتقاد الفكرى، فقد فعلت وانفعلت وأخذت وأعطت وانشأت أدبا ضخما فى فنون شتى.

المصادر الجديدة قد رجعنا إليها:

قلب الجينية	للآنسة سنكلير استونسون
الجينية فى الهند الشمالية	لـ صيمن لال جى شا
مطالعة الفلسفة الجينية	لـ ناث مل طاطيا